كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الخامسة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: العوامل التي مكنت العرب من التجارة مع افريقيا

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية : Factors that enabled Arabs to trade with Africa

محتوى المحاضرة الخامسة

- التجار واثرها في انتشار الاسلام في ساحل افريقيا الشرقي:

شهد الساحل الافريقي حركة تجارية قديمة نشيطة، كان القائمون عليها العرب القادمين من شبه الجزيرة العربية على الاخص، حاملين معهم المواد التي يرغب فيها سكان الساحل الشرقي لافريقيا، ليأخذوا بدلها منتجات الشرق الأفريقي الذهب والعاج بالدرجة الاولى وغيرها من البضائع. والحق ان التجار العرب هم اقدم من أقام في الساحل الأفريقي الشرقي وصبغوه بالصبغة العربية منذ قرون طويلة. هناك جملة عوامل مكنت العرب من التجارة مع افريقيا الشرقية منها:

١ - قرب الساحل الافريقي الشرقي منهم، ، فالمساحة المائية الضيقة نسبيا الى تفصل الشاطئ الافريقي الشرقي عن جنوب شبه الجزيرة العربية شجعت العرب على هذه المنطقة. كما ان موقع بلاد العرب الجغرافي المهم المتحكم بطرق التجارة العالمية الحيوية التي تمر بها ابتداءا من الصين والهند وسواحل المحيط الهندي والبحر الاحمر، حتى تصل شمالا إلى البحر المتوسط ومنها الى موانئ اوربا، قد مكن العرب من القيام بنقل بضائع ومنتجات سكان الساحل الافريقي الشرقي الى الاسواق العالمية التي كانت تطلبها، كما استطاعوا من ربط مصادر الانتاج ي افريقيا الشرقية بالشرق الأقصى

٢ – معرفة العرب الجيدة بالفلك والأنواء مكنتهم من قيادة سفنهم بأمان الى شرق افريقيا، كما ان الظاهرة الطبيعية، الرياح الموسمية، التي تميزت بها منطقة المحيط الهندي منذ القدم ولحد الآن قد مكنت العرب من التجارة مع شرق أفريقيا. شهر تشرين الثاني من كل سنة تبدأ هذه الرياح بالهبوب من الشمال والشمال الشرقي فتنطلق السفن العربية معها من الخليج العربي وسواحل شبه الجزيرة العربية الى ساحل افريقيا الشرقي. اما في شهر نيسان من كل سنة فتنعكس العملية، حيث تبدأ فقي هذه الرياح بالهبوب من الجنوب والجنوب الغربي فيخرج العرب بسفنهم التجارية معها من شرق افريقيا للعودة الى أوطانهم، ولقد مكنتهم هذه الرياح من السيطرة

التجارية على معظم منطقة المحيط الهندي.

٣- لم يكتف العرب قبل الاسلام بدور الوسيط التجاري في نقل المنتجات والبضائع من الشرق الأفريقي واليه، بل اهتموا بايجاد مراكز او محطات تجارية لهم في الساحل الأفريقي الشرقي لتجميع المواد التي يحصلون عليها من داخل افريقية، وبصورة تدريجية تحولت هذه المراكز الى اماكن استقرار مؤقت او دائم للعرب يقيمون فيها لمتابعة اعمالهم التجارية. وبعد ظهور الاسلام ازداد نشاط العرب التجاري مع شرق أفريقيا وتوسع، لا سيما بعد نشاط حركة التجارة في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين. وكانت حصيلة ذلك نشوء مدن تجارية عربية متعددة على طول الشاطئ الأ ان التاجر اذا ما حل في مدينة فسرعان ما يلفت الانظار بكثرة وضوئه وانتظام اوقات الصلاة والعبادة، وبما يتجلى به من سمو عقلي وخلقي ليفرض احترامه والثقة

به على الاهالي الوثنيين، وهكذا انتشر الاسلام بين . سكان افريقيا الشرقية " ويبدو ان عملية نشر الاسلام في هذه المنطقة كانت تدريجية وبمحاذاة طرق التجارة ومراكزها، حيث استطاع التجار والمهاجرون العرب المسلمون الذين استقروا في الساحل الافريقي الشرقي من الاختلاط بسكان المنطقة بسرعة واكتسبوا صداقتهم وتزاوجوا معهم واثروا بهم وحولوهم الى الاسلام. وهكذا تحولت المراكز التجارية المنتشرة على طول الساحل الى الاسلام، ومنها بدأ بالانتشار بصورة تدريجية نحو المناطق الداخلية لشرق افريقيا. اما فيما يخص التنظيم التجاري الذي استخدمه التجار العرب المسلمون في الشرق الأفريقي فالمعروف أن نظام المقايضة كان شائع الاستخدام ومن ! لهذا النظام أسساً محددة ونظماً متعارفاً عليها بين التجار العرب وسكان المنطقة. وفي سبيل تنظيم التجارة الواردة الى ساحل افريقيا الشرقي، فقد فرضت مدنه ضرائب على المواد التجارية الواردة اليها والصادرة منها وكانت المواد المتأتية من الضرائب، على ما يبدو سببا في غنى مدن الساحل وحياة الترف والبذخ التي عاشت فيها. أما أهم السلع التي اعتاد التجار العرب جلبها الى الساحل الأفريقي الشؤقي ومقايضتها بالسلع والمواد التجارية الخام الموجودة في فهي السكاكين والخناجر والفؤوس والرماح والاقمشة والخرز والحلي البسيطة التي رغب الأفارقة في الحصول عليها، والأواني الفخارية والزجاجية احيانا، وكل ما كان مرغوبا فيه المعتقد ان المنطقة، ومطلوبا عند سكان شرق افريقيا.

العرب عن منطقة سفالة وهي من أما البضائع التجارية التي قدمتها افريقيا الشرقية للتجار العرب فهي: الذهب، وهو اهم مادة طلبها التجار من شرق افريقيا، وتوجد مناجمه في منطقة سفالة حيث يعد ذهبها من افضل الانواع ، وقد تحدث الجغرافيون اقصى بلاد الزنج ويبدو انها جنوب موزمبيق الحالية. لم تكن سفالة ذاتها مركز مناجم

الذهب وانما هي مركز تجمعية فقد كان ينقل اليها مناطق الداخل سفالة تحمله مراكب البحارة العرب التجارية الى مراكز طلبه في الاقاليم العربية الاسلامية. ويبدو ان المراكز العربية في الساحل الافريقي الشرقي استطاعت السيطرة على تجارة ذهب سفالة وتقاسمت زعامة هذه التجارة بالتناوب. وكان ازدهار هذه المدن يعتمد بالدرجة الاولى على سيطرتها على تجارة الذهب. والملاحظ أن التجار العرب كانوا يحملون بضائعهم المختلفة إلى سفالة حيث يبدلونها. بالذهب، والراجح ان ابناء القبائل الأفريقية الوثنية كانوا يحملون الذهب الى سفالة حيث يبادلونه بالبضائع التي يحتاجونها لا سيما الاقمشة والخرز والاواني، لذا فان اهل سفالة أدوا دور الوسيط في تجارة الذهب بين التجارة العرب والوثنيين الافارقة من سكان المناطق الداخلية الذين امتلكوا مناجم الذهب

اما العاج فكان منتوجا افريقيا مهما، لان افريقيا الشرقية عدت دائما المصدرالمهم للعاج والافارقة لم يستخدموا الفيلة للركوب او الظهور في المهرجانات اوالحروب كما فعل اهل الشرق حيث عدت الفيلة مراكب للخلفاء والقادة، لكن الافارقة كانوا يقتلون الفيلة للحصول على انيابها العاجية التي صدرت الى الشرق الاقصي وبلاد العرب (١). وقد اشتهر عاج افريقيا بجودته وكان الافارقة يدفنون الانياب لتكسب لونا أقرب إلى الحمرة وهو أحسن انواع العام . ويبدو ان العرب لا سيما اهل عمان كانوا يستوردون عاج افريقيا ثم يصدرونه الى الهند والصين حيث ولع به هؤلاء لتزيين الاثاث والتوابيت والاسرة ولصنع الامشاط وقوائم السيوف وقطع الشطرنج والنرد.

ومن أهم مراكز تجمع وتصدير العاج في الساحل الشرقي لافريقيا مقاديشو وماليندي، كما عرفت زنجبار بتجارة العاج ايضا. اما سفالة فقد كانت تعد سنوسا كميات هائلة من العاج للتجار القادمين اليها.

وشكلت افريقيا بما فيها الساحل الافريقي الشرقي مورداً مهماً لكثير من انواع الأخشاب التي تطلبها الطبقة المترفة في المشرق وفي الشرق الأقصى. وقد عرفت انواعا نادرة مرغويا فيها من الاخشاب مثل الانبوس والصندل والساج فالابنوس كان عالي القيمة ويستخدم للاثاث والابواب والشطرنج ويدل استخدامه على الترف والبذخ، وكانت مقاديشو هي المزود للتجار بهذا النوع من الخشب. اما زنجبار فقد صدرت خشب الصندل وهو خشب عطري يطلبه المترفون. وكان هذا النوع من الخشب من الي صادرات لأمر ومومبا ما لكثرة الأشجار فيهما.

أما العبير الذي رقب التجار العرب في الحصول عليها من ساحل افريقيا الشرقي، فكان موجوداً من بحر الزنج والمعروف ان البحر يفتقد به إلى الساحل. ولسكان الساحل الذي يوجد فيه الصبر طرف معينة يجمعونه بها، فقد كانت نجم نجميه يدريونها على طلب العنبر ثم يركونها في الليالي المقمرة، ويمرون بها على الساحل، فحالما تراها النجب تبرك فينتبه اصحابها الى وجود العنبر (١). كما ان هناك نوعا من الحيتان يسمونها (اوال) تبتلع

العنبر فتموت وعندئذ تطفو على الماء، وسكان السواحل يعرفون الاوقات التي تظهر فيها هذه الحيتان المبتلعة للعنبر(٢). وقد وجد العنبر في عدة مناطق من الساحل الافريقي الشرقي منها لامو وماليندي ومقاديشو وزنجبار، وقد حمل من هذه المراكز التجارية الى العراق وسواحل الخليج العربي والجزيرة العربية حيث يكثر طلبه. والعنبر من بضائع الترف التي حفلت بها خزائن الخلفاء والاغنياء واتخذت منه العطور والحلي.

وهناك مواد تجارية عديدة أخرى صدرت من الساحل الافريقي الشرقي منها الحيوانات التي اكثرت دول العالم من طلبها لاستخدامها في شتى الأغراض، والحديد والاصواف وريش النعام وغيرها.

ج- الأثر الحضاري للعرب المسلمين في الساحل الأفريقي الشرقي بعد كل الذي عرضناه في قضية انتشار الإسلام والوجود في الساحل الأفريقي الشرقي يحق لنا أن نسأل ما الأثر الحضاري الذي تركه استقرار العرب والمسلمين من هذا الساحل؟ هذا السؤال لا بد في البلده من القون ان تأثير الوجود الحربي في الساحل الأفريقي الشرقي لم يقتصر على تكوين مجتمع منفصل عن السكان الأصليين أو مجرد شرائح من الطبقات العليا جاءت من اجل هدف عابر وظلت غربية عن أهل البلاد، ذلك أن يضع بنات من السنين مرت على التراكم السكاني الاجابة عن .